مادة (ضَرَبَ) ودلالاتها في القرآن الكريم

د. سعيد إبراهيم صيهود

كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة / جامعة البصرة

المقدِّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على خير خلقه أجمعين، وبعد فهذا البحث يتناول مادّة (ضَرَب) ودلالاتها في القرآن الكريم، واختيار هذه اللّفظة جاء من خصوصيتها في التعبير القرآنيّ فهي ذات دلالات متعددة بين الحقيقة والمجاز، وهو ما يمكن أن يطاق عليه بالتوسّع الدلاليّ في القرآن الكريم، فاللّفظة في القرآن الكريم لها مدلولات يحكمها السّياق القرآنيّ ومقصديته منها.

إنّ دراسة المفردة القرآنيّة من الأهميّة بمكان؛ إذ هي السّبيل والأساس لمعرفة الكثير من النصوص القرآنيّة، ولذلك درج العلماء منذ القدم على دراسة اللّفظة المفردة كما هو الحال في مفردات الرّاغب الأصفهانيّ، والبرهان في علوم القرآن للزركشيّ، وكذلك الكتب التي ألّفت في غريب القرآن وغيرها.

لفظة (ضَرَبَ) في اللّغة:

لا بدّ قبل أن نبدأ بالكشف عن مدلول اللّفظة في القرآن الكريم أن نبيّنَ دلالاتها في المعاجم اللّغويّة، إذ ترتبط اللّفظة بمرجعيّاتها واستعمالاتها وارتباطها مع غيرها من المفردات، فالمعروف أنّ اللفظة بمفردها لها معانٍ ودلالات تختلف عنها عندما تنتظم في تركيب معيّن. وقد ألمع ابن جنيّ (ت ٣٩٢هـ) إلى عناية العرب بألفاظها فضلًا عن عنايتهم بمعاني الألفاظ، فقال: (فأوّل ذلك عنايتها بألفاظها؛ فإنّها لمّا كانت عنوان معانيها، وطريقًا إلى إظهار أغراضها، ومراميها، أصلحوها ورتّبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقعَ لها في السّمع، وأذهبَ بها في الدّلالة على القصد)[١]، وهذا ينبئ عن أهميّة الألفاظ عند العرب وقيمتها وما تقوم به من دور في اللّغة؛ لأنّ فهم معاني الألفاظ أساسٌ في فهم العبارات وبالتّالي فهم اللّغة.

وقد أشار أصحاب المعاجم إلى دلالة (ضَرَبَ) في اللّغة، فالضّاد والرّاء والباء أصلٌ واحدٌ، تقول: ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا، ثمّ يحمل عليه ويستعار منه ويُشبّه به[٢]. ورجلٌ ضاربٌ وضروبٌ وضريبٌ وضَرِبٌ

ومِضربٌ: شديدُ الضّربِ أو كثيرُه[٣]. فممّا استُعير له وحُمِل عليه السَّير والسّفر والتّجارة، فيقال: ضَرَبَ في الأرضِ ضَرْبًا ومَضْرِبًا بالفتح، أي سار في ابتغاء الرّزق وطلبه[٤]، ومنه الضَّرب في سبيل الله إذا سافر تاجرًا أو غازيًا أو إذا أسرع أو إذا ذهب أو سار في ابتغاء الرّزق[٥]، ولذلك سُمِّيت بعض الطّيور ضواربَ؛ لأنّها تسافر لتطلبَ رزقَها[٦].

فالذي يظهر من ذلك أنّ دلالات (ضَرَبَ) في اللّغة يعود أغلبها إلى التّشبيه والاستعارة وغيرها، فهي ليست على الحقيقة، بل من المجاز، فمن ذلك أيضًا الضَّرب: الرّجل الخفيف اللّحم، أو الماضي الفتى الذي ليس برهلٍ، يقول طرفة بن العبد[٧]:

أنَا الرّجُلُ الضَّربُ الذي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشٌ كَرَأس الحيَّةِ المُتَوَقِّدِ

والضَّرب الإصراف والمنع والكفّ والإعراض، يقال: ضَرَبَ عنِ الأمر وأضربَ: إذا كفَّ وامتنع، وأضرب عن الذكر: صرفه، والأصل فيه أنّ الرّاكبَ إذا ركب دابةً فأراد أن يصرفَها عن جهتها ضربها فغيّرت مسارها، فوُضع الضَّرب موضعَ الإضراب أي موضع الصّرف والعدل[٨]. وضَرب بيننا: فرّق وباعد، يقال: ضَرَبَ الدّهرُ ضرباتِه، يقول ذو الرّمة[٩]:

فَإنْ تَضْرِبِ الأيَّامُ يَا مَيُّ بَيْنَنا فَلَا نَاشِرٌ سِرًّا وَلَا مُتَغَيِّرُ

والضّربُ المِثلُ والنّظيرُ، يُقال: فلانٌ ضريب فلانٍ، أي نظيرُه وشبيهه ومثيله وشكلُه، والجمع ضروبٌ، والضّرباء الأمثال والنّظراء، والضّرائب الأشكال، وتقول: عندي من هذا الضّرب شيءٌ كثيرٌ، أي من هذا المِثل والنّوع، وهذه الأشياء على ضربٍ واحد، أي على شكلٍ ومثالٍ واحدٍ[١٠].

ومن هنا استُعير ضربُ الأمثال، بمعنى ذكر ما يشابه هذه الحادثة أو تلك، وهو اعتبار الشيء بغيره وتمثيله به، وضرب الأمثال بيان ضرب منها أي نوع منها وصنف مشابه لها[١١]، ومن المجاز: ضربَ على يده، إذا أفسد عليه أمرًا، وضرب القاضي على يده: إذا حجزه[١٢].

أمّا الضّرب بالسّيف وغيره فيسمّى إيقاعًا، ضربه بالسّيف ضربًا: أوقعه عليه، وضرب الشيء ضربًا وتَضرابًا إذا أصابه وصدمه، وضرب به عرض الحائط إذا أعرض عنه وأهمله احتقارًا، وضرب الدّراهم صياغتها وسكّها[١٣]. والضّريب اللّيل إذا أظلم، وضرب اللّيل بأوراقه إذا أقبل، قال حُميد بن ثور الهلاليّ[١٤]:

سَرَى مِثْلَ نَبْضِ العِرقِ وَاللَّيلُ ضَارِبٌ بِأَوْرَاقِهِ والصّبحُ قَدْ كَانَ يَسْطَعُ

فهذا يرجعُ جميعه إلى المجاز على وجه الاستعارة والتّشبيه، فالضّرب الصّيغةُ؛ لأنّه إذا صاغ شيئًا فقد ضربه، والضَّريب النّظير والمثيل؛ كأنّهما ضُربا ضربًا واحدًا وصِيغا صِياغةً واحدةً، والضّريب الصَّقيع؛ كأنَّ السّماء ضربت به الأرضَ والضَّريب اللّبن؛ كأنَّ بعضه ضُرب فوق بعض، والضَّريب العسل كأنَّ النّحل ضربه، والضّريبة السّجيّة والطّبيعة، كأنَّ الإنسانَ قد ضُرب عليها ضربًا وصِيغ صياغةً، وكذلك الجِزية وغيرها، فالقياس واحدٌ، ثمَّ اتَّسعوا في ذلك، فقيل: ضرب على يده إذا حجر ؛ كأنّه بسط يده، وأضرب عن الأمر إذا كفَّ؛ فكأنّه كفَّ يديه عمّا أرادت، والضّرب الرّجل الخفيف شُبّه في الخفّة بالضّربة التي يضربها الإنسان، والضّرب الصِّنف من الشيء، كأنّه ضُرب على مثال غيره من ذلك الشيء[١٥].

وبذلك يتبيّن أنّ البحث في دلالة اللّفظة يدخل ضمن الاتّساع في اللّغة ولا سيّما العربيّة؛ فهي تمتلك من الإمكانات والقابليّات ما يجعلها في تطوّر مستمرّ، وهذا يظهر جليًّا على مستوى الألفاظ خاصّة؛ فهي معرّضة للتّبدّل والتّغيّر على مدى العصور والأزمنة.

لفظة (ضَرَبَ) في القرآن الكريم:

لا بدّ من القول إنّ البحث في دلالة الألفاظ ولا سيّما في القرآن الكريم تحتاج إلى كثير من التّأني والتّروّي لمعرفة مقصد القرآن منها، والتحقيق في الألفاظ القرآنيّة المفردة من أول ما يشتغل به من علوم القرآن ومن العلوم اللّفظيّة، وهي التي تساعد في كشف معاني القرآن وإدراكها، يقول الرّاغب الأصفهانيّ (ت ٤٢٥هـ): (إنَّ أوّل ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللّفظيّة، ومن العلوم اللّفظيّة تحقيق الألفاظ القرآنيّة المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المُعاون لمن يُريد أن يدركَ معانيه، كتحصيل اللّبن في كونه من أوّل المُعاون في بناء ما يُريد أن يبنيَه، وليس ذلك نافعًا في علم القرآن فقط، بل هو نافعٌ في كلّ علمٍ من علوم الشّرع، فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب

وزُبدتُه وواسطتُه وكرائمُه، وعليها اعتمادُ الفقهاءِ والحكماءِ في أحكامِهم وحُكمِهم، وإليها مَفزِعُ حذّاقُ الشُّعراء والبلغاء في نظمِهم ونثرهم، وما عدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقّات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنّوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتّبن بالإضافة إلى لُبوب الحِنطة[١٦]). والبحث في دلالة الألفاظ في القرآن الكريم كان وما زال محطَّ عناية الكثير من العلماء والدّارسين، لذلك كثر التّأليف في المشترك اللّفظيّ، والتّرادف وغيرها من علوم القرآن، فاللّفظة المفردة في القرآن الكريم لها دلالة ومقصد يختلف عنه إذا ما جاءت في سياق معيّن، بل إنّ اللّفظة نفسها تختلف من سياق إلى آخرَ وإن كان السّياقان متشابهين، لاختلاف المقام وسبب النّزول وغير ذلك؛ وهو ما دعا العلماء إلى دراسة ما يسمّى بالمتشابه اللّفظيّ في القرآن الكريم فكثير من الآيات تبدو متشابهة ومقصد القرآن منها واحد، إلّا أنّ النّظر الدّقيق والتّتبّع والمقارنة تُظهر أنَّ بينها اختلافًا وتباينًا دقيقًا لا يتكشّف إلّا عن طريق التّقصّي وإمعان النّظر.

ولعلّ من تلك الألفاظ التي تحتاج إلى التّدبّر والتّمعن لفظة (ضَربَ) فهي توحي بدلالات عدّة يحكمها السّياق القرآنيّ، فضلًا عن ورودها ملازمةً لألفاظ أخرى ترشّحها لدلالة معيّنة، وقد حاولنا استقصاء دلالة اللّفظة في القرآن الكريم فوجدناها تشير إلى الدّلالات الآتية:

الضّرب: إيقاع شيء على شيء، كالضّرب باليد والسّيف والعصا:

ويراد بهذه الدّلالة في القرآن الكريم القتل غالبًا، وأكثر ما يرد في مواطن القتال من أجل شحذ همم المؤمنين وحثِّهم على قتال المشركين من نحو قوله تعالى: (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)[١٧]، فالمقصود هنا قطع الرّؤوس والأصابع، أي الأطراف، فالضّرب لأعالي الأعناق فيه حزٌّ وتطيير للرؤوس، فيكون واقعً على مقتل وغير مقتل، لذلك أمرهم بأن يجمعوا عليهم النّوعين معًا[١٨] ولا يخفى ما فيه من التّأكيد على قتال المشركين، ولذلك كرّر الضّرب، وفيه كذلك تثبيت لقلوب المؤمنين، فلا معونةَ أعظم من إلقاء الرّعبِ في قلوب الكفرة وتخويفهم، ولا تثبيتَ أبلغُ من ضرب أعناقهم، واجتماعهما غاية النصرة، وضرب الكفّار مشروعٌ في كلّ موضعٍ منهم، وإنما قصد أبلغ المواضع وأثبت ما يكون المقاتل، فإذا عمد إلى الرّأس أو الأطراف كان ثابتَ الجأشِ، متبصِّرًا فيما يضع فيه آلة قتاله من سيف أو رمح أو غيرهما ممّا يقع به اللّقاء، إذ ضرب الرّأسِ فيه أشغل شاغل عن القتال، وكثيرًا ما يؤدي إلى الموت، وضرب البنان فيه تعطيلُ القتال من المضروب بخلاف سائر الأعضاء، فيكون سبحانه وتعالى قد علّمهم مواضع الضّرب جميعها، فقال اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل، فكأنّه قال:

فاضربوا الأعالي إن تمكّنتم منَ الضّرب فيها، فإن لم تقدروا فاضربوهم في أوساطهم، فإن لم تقدروا فاضربوهم في أسافلهم، فإنّ الضّرب في الأعالي يسرع بهم إلى الموت، والضّرب في الأوساط يُسرع بهم إلى عدم التّصدي، والضّرب في الأسافل يمنعهم من الكرّ والفرّ، فيحصل بذلك قتلهم وإهلاكهم بالكليّة أوِ الاستولاء عليهم[١٩].

ونظير ذلك قوله تعالى: (فَإِذَا لَقَيْتُمُ اللَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ)[٢٠] فالخطاب للمؤمنين في قتال المشركين، وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى بضرب رقاب المشركين خاصّةً؛ لأنّه موضعٌ يمنع حركة المقاتل ومقاومته فضلًا عن عدم قدرته على الفرار، قال الزجّاج: (وتأويله فإذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم، ولكنّ أكثرَ مواضع القتل ضرب العُنُق، فأعلمهم الله- عزّ وجلّ- كيف القصد)[٢١] ، والعبارة فيها من التّرهيب والغلظة والشّدة ما ليس في لفظ القتل، لما فيها من تصوير القتل بأشنع صورة وأبشعها عن طريق حزّ العنق وتطيير أفضل أعضائه[٢٢]، ولعلّ ما يؤكّد ذلك ما جاء بعده من الأمر بتثخين الجراح أي أغلظتم في قتالهم وأشبعتم الضّرب فيهم ما يتوجّب عليكم شدُّ الوثاق، ويلحظ فيه التأكيد على ضرب الأعناق؛ فإنّ ضربَ الأعناق مفعولٌ مطلقٌ حُذفَ فعلُه، أي اضربوا الأعناقَ ضربًا[٢٣]، ولا يخفى ما فيه من المبالغة في قتال الأعداء.

وترد هذه الدّلالة كذلك في تصوير حال الكفّار يوم القيامة وضرب الملائكة إيّاهم من نحو قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ)[٢٤]، فالآية تصوّر موقفَ الكفّار عندما تتوفّاهم الملائكة حيث يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق الذي تستحقّونه جزاءً لما فعلتم في حياتكم، وتخصيص الضّرب بالوجوه والأدبار هنا فيه إشعارٌ بهوان الكفّار وخزيهم وذلّهم والتّنكيل بهم، يدلّ على ذلك أمور منها حذف جواب لو، إذ التقدير: لرأيت أمرًا فضيعًا منكرًا[٢٥] ومنها تقديم المفعول (الذين كفروا) على الفاعل (الملائكة)؛ وذلك للاهتمام بأمر هؤلاء الكفّار بأنّهم استحقّوا هذا المصير.

ونظير دلالة الضرب حقيقةً الضرب باليمين الوارد في قوله تعالى: (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِاليَمِينِ)[٢٦]، فقد أراد أنّ ضرب إبراهيم (ع) الأصنام فيه من القوة والبأس الشيء الكثير؛ ذلك أنّ (ضَربًا) مصدرٌ مؤكِّدٌ لفعله، أي ضربهم ضربًا، كما أنّ اليمين مصدر قوة وشدّة (كأنّه قال: ضربهم ضربًا؛ لأنّ راغ عليهم

بمعنى ضربهم، أو فراغ عليهم بضربهم ضربًا، أو فراغ عليهم ضربًا بمعنى ضاربًا... ومعنى ضربًا باليمين ضربًا شديدًا قويًّا، لأنّ اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما)[٢٧] وهو نظير قوله تعالى: (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)[٢٨] فقد فُسِّرتِ اليمينُ هنا بالقوة والقدرة على وجه المجاز، والمعنى لأخذنا منه يمينه أي قوّته وقدرته، وإنّما قامتِ اليمين مقامَ القوة والقدرة؛ لأنَّ قوة كلّ شيء في يمينه[٢٩]، والقصد من ذلك إذلاله واحتقاره جزاءً لتقوّله على الله ورسوله، وفي الآية محلّ الشّاهد تأييد للنّبيّ إبراهيم (ع) وإظهارٌ لقدرته وقوّته ونصرة الله له.

ومن مصاديق الضّرب الذي يفيد الشّدّة والقوّة والبأس حقيقةً الضّرب بالعصا، وهو ما ورد في قصّة موسى (عليه السّلام) من ضربه الحجر وسقي قومه الماءَ في قوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)[٣٠]، ففيه إشارةٌ إلى قدرة الله سبحانه وتعالى وقوّته ومعجزة موسى (عليه السلام) في ضربه الحجر بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا بعد أن كان حجرًا يابسًا أصمَّ لا شأنَ له بالانفجار وخروج الماء، قيل إنّ الله لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه، وهو أظهر في الحجة وأبين في القدرة[٣١].

ونظير ذلك ما ورد في قصّة موسى (عليه السلام) أيضًا من ضربه البحرَ وتجاوزه هو ومن معه وغرق فرعون وقومه من قوله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ)[٣٢] ففيه ما لا يخفى من قدرة الله سبحانه وتعالى، وكذلك يشير إلى معجزة موسى وعظمته، ويلحظ أنَّ في الآية حذفًا اقتضاه السَّياق وقصد إليه النّظم القرآنيّ، والتقدير: فضرب فانفلق، (وفي هذا الحذف إشارةٌ إلى سرعة امتثاله عليه السّلام، وإنّما أمِر عليه السّلام بالضّرب فضرب وترتّب الانفلاق عليه إعظامًا لموسى عليه السّلام بجعل هذه الآية العظيمة مترتّبة على فعله، ولو شاء عزّ وجلّ لفلقه بدون ضربه بالعصا[٣٣])، فالقصد من ذلك والله أعلم إعلاء شأن موسى (عليه السلام) وبيان مقدرته، فضلًا عن أنّ ذلك سوف يكون رادعًا لقوم فرعون وحجةً عليهم قد تجعلهم يؤمنون بموسى (عليه السّلام).

دلالة الضّربِ في الأرض للتّجارة والسّفر:

تفيد مادة (ضَرَبَ) في القرآن الكريم الدّلالة على السّفر للتّجارة أوِ الغزو، فيكون مصدرُه ضربًا وضَربَانًا ومَضرَبًا، إذا سافر في ابتغاء الرّزق[٣٤]، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَلُوا لِإِخْوَانِهِم إِذَا ضَرَبُوا في الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى)[٣٥]، فلفظة الضّرب هنا تفيد السّفر للتّجارة أو الغزو في سبيل الله أو ابتغاء مرضاته، وهذه الدّلالة مجازيّة على وجه التّشبيه والاستعارة؛ والمعنى (سافروا فيها لتجارة أو طلب معاش فماتوا...وأصل الضرب إيقاع شيء على شيء، واستعمل في السّير لما فيه من ضرب الأرض بالرّجل، ثمّ صار حقيقةً فيه، وقيل: أصل الضّرب في الأرض الإبعاد في السّير)[٣٦]، ويلحظ أنّ الفعل معها يكون مقترنًا بعبارة (في الأرض) أو (في سبيل الله)، فمن ذلك قولُه تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ في الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ)[٣٧]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ في سبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا)[٣٨]ولعلّ في هذا إيحاءً بأنّ الضّرب في الأرض والسفر فيها لا يكون إلّا في سبيل الله من الجهاد وقتال الأعداء أو في سبيل نيل مرضات الله وكسب رضاه أو لابتغاء الرّزق، ومنه قوله تعالى: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ في الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ)[٣٩]، فالضّرب هنا يفيد السّفر من أجل كسب الرّزق.

ونظيره قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الذِينَ أُحْصِرُوا في سبيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا في الأَرْضِ)[٤٠]، فالضرب هنا السّفر للتّجارة والكسب، فهؤلاء الفقراء أحصروا في الجهاد في سبيل الله، فلا يستطيعون الكسب والتجارة لانشغالهم به خوفًا من العدوّ أو لعدم قدرتهم على السّفر، والمعنى أنّهم (ألزموا أنفسهم أمر الجهاد فمنعهم ذلك من التّصرف وليس لأنّهم لا يقدرون أن يتصرّفوا، وهذا كقولك: أمرني المولى أن أقيمَ فما أقدر على أن أبرحَ، فالمعنى: أنّي قد ألزمت نفسي طاعته)[٤١]، ودلالة الضّرب هنا دلالة مجازيّة لا حقيقيّة، والقرآن الكريم كثيرًا ما يأتي بالمجاز من أجل توسيع دلالة اللّفظة فتفيد بذلك دلالةً جديدة، وما يمكن ملاحظته كذلك أنّ القرآن الكريم لم يصرّح بذكر مفعول الفعل في هذه المواضع، على حين ذكره في دلالة الفعل الحقيقيّة وهي الضّرب بالسّيف وغيره ما ينبئ عن تغيّر الدّلالة بين الحالين بسبب تحوّل الفعل من التعدية إلى اللّزوم.

دلالة الضّرب على الإحاطة والشّمول:

يرد الفعل (ضَرَبَ) في القرآن الكريم بمعنى الإحاطة والشّمول وذلك في وصف حال الكفّار من الاحتقار والصَّغار بحيث تحيط بهم الذّلة والمسكنة كما تحيط الخيمة بصاحبها من قوله تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)[٤٢]أي جُعلت الذّلة محيطةً بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كحال من أحيطت به الخيمة وضُربت عليه، فلصقت بهم ولزمتهم ضربة لازب، كما يلزم الطين عندما يضرب على الحائط[٤٣]، قال الراغب: (أي التحفتهم الذّلة التحافَ الخيمة بمن ضُربت عليه)[٤٤]، ولا يخفى ما فيه من المجاز الذي جيء به لتصوير حال الكفّار الشّنيع وسوء عاقبتهم بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حقٍّ وبسبب اعتدائهم على خلق الله، ولذلك كرّر القرآن الكريم إمعانًا في تصوير تلك الحال، وقد كرّر هذا المعنى في قوله تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)[٤٥]، ويلاحظ هنا أنّ الفعل جاء في الموضعين مبنيّا للمجهول؛ فكأنّ الذّلة والمسكنة هما اللّتان قد أحاطتا بهم لا بفعل فاعل بل هو جزاء عملهم المنكر وما اقترفوه من الذنوب والمعاصي، فضلًا عن أنّ البناء للمجهول فيه تعظيم لأمر الفاعل وتهويل لما يلقاه الكفّار من مصير.

ونظيره ما جاء في قوله تعالى: (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فيه الرّحمةُ وظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ)[٤٦] فالفعل هنا يفيد الإحاطة والشّمول ، فالسّور يفصل الفريقين بعضهما عن بعض ويحيط بكلّ فريق منهم ويشتمل عليه اشتمالًا، وقد عُزلوا عزلًا تامًّا بحيث لا يمكن أن يختلطَ بعضهم ببعض، ولعلّ ما يؤيّد هذا طلب الكفّار التماس النّور من المؤمنين وما قوبل به من طرد المؤمنين لهم وتخييبهم لهم، وصورة السّور الذي يفصل بين المؤمنين والكفّار هذا شبيهٌ بالحاجز أو الفاصل الذي يفصل بين الماء العذب والمالح الوارد في قوله تعالى: (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ)[٤٧]، وفي ذلك تمثيل للنّعيم والعذاب وأنّ (الفاصل بين النّعيم والعذاب هو الأعمال في الدّنيا وأنّ الأعمال التي يعملها الناسُ في الدّنيا منها ما يُفضي بصاحبه إلى النّعيم ومنها ما يُفضي بصاحبه إلى العذاب، فأحد طرفيّ السُّور مثالٌ لأحد العملين وطرفه الآخر مثالٌ لضدِّه)[٤٨]، وفعل الضّرب في الآية ورد كذلك هنا مبنيًّا للمفعول وهو أبلغ في تصوير حال الفريقين، وهو أدعى لدهشة الكفّار وحيرتهم، فضلًا عمّا قدّمناه من أنّه أكثر تصويرًا لحال

الكفّار، وما زاد في بلاغة المشهد المقابلة التي صوّرها القرآن الكريم بين المؤمنين والكفّار، إذِ السُّور داخلُه رحمةٌ ومغفرةٌ ورضوانٌ يتمتّع بها المؤمنون، وخارجُه عذابٌ أليمٌ يصلى به الكفّار والمنافقون، ولعلّ ما يؤيّد إفادة الضّرب هنا العموم والشّمول والإحاطة ما ختم به الآية من أنّ مصير هؤلاء المنافقين هو النّار فهي التي تؤويهم وهي مولاهم لا مفرَّ لهم عنها ولا مهربَ وبئس المصير الذي مهّدوه لأنفسهم.

دلالة ضرب الأمثال:

وهي أكثر دلالات مادة (ضَرَبَ) ورودًا في القرآن الكريم، فقد وردت ستًّا وعشرين مرّةً، وقدِ اختلف اللّغويُّون والمفسِّرون بالمقصود من ضرب الأمثال، فقيل يُراد به التّبيين والتّمثيل والوصف، وقيل: إنّ ضرب الأمثال صوغُها وإنشاؤها وابتكارها[٤٩]، ويبدو أنّ هناك ارتباطًا دلاليًّا بين ضرب الأمثال وضرب الدّراهم، فضرب الدّراهم يعني صياغتها وإنشاؤها على مثيلٍ لها، كما أنّ صياغة المثل وضربه هو على مثالٍ وحادثٍ مشابهٍ له[٥٠].

والذي يبدو كذلك أنّ ثمّةَ تواشجًا دلاليًّا وتلازمًا بين لفظة (ضَرَبَ) والأمثال، إذ يتقاطع الطّرفان في الدّلالة على الهيئة والشّكل، فالضّرب هو النّوع والشّكل، والمثال هو النّوع والشّكل، ويتقاطعان كذلك في الدّلالة على الوصف، فالضّرب هو الصّفة، ومثل الشيء صفتُه؛ ولذلك وردا في القرآن الكريم في ستّةٍ وعشرين موضعًا[٥١]، والغالب أن يكونَ فاعل الضَّرب الله سبحانه وتعالى من نحو قوله تعالى: (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلْنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[٥٢]، ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال فقال: (وَلَا تَضْرِبُوا لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[٥٣]، فقد قيل إنّ الله نهى عن أن يُجعلَ له نظير أو مثيلٌ أو شبيهٌ فهو إشراكٌ به؛ لأنّه يعلم ما تفعلونه وعظمه فيعاقبكم به، ودلالة النّهي عن ضرب الأمثال لله كدلالة جعل الأنداد له سبحانه وتعالى علوّا كبيرًا من مثل قوله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٥٤]، وقيل أراد فلا تضربوا له الأمثال؛ لأنّه وحده يعلم كيف يضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون ذلك[٥٥].

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ضرب الأمثال في القرآن الكريم لا يراد به دائمًا جمعُ (مَثَل) وهو العبرة والموعظة، بل قد يراد به جمع (مِثْل) وهو الشّبيه والندّ والمثيل، وهذا ما يرد في سياق الردّ على الكفّار والمنافقين الذين يزعمون ويجعلون لله أندادًا وأمثالًا من نحو قوله تعالى: (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ

فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا)[٥٦]، فالمقصود من ضرب الأمثال هنا التّمثيل والتّشبيه، أي مثّلوك بالكاهن والشّاعر والسّاحر والمجنون[٥٧]، ونظيره قولُه تعالى: (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا)[٥٨]، وقولهم هذا هو محض افتراء وهو دليل تحيّرهم وضلالهم، ولذلك عقّبه تعالى بعده بأن جعل له جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار وقصورًا فارهةً تطييبًا لنفسه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتطمينًا له. ويلحظ كذلك على ضرب الأمثال في القرآن الكريم أنّ الممثّل به غالبًا ما يكون حسيًّا ملموسًا ليسهلَ فهمُه وتقريب الصّورة إلى الأذهان؛ (وذلك لأنّ المعاني العقليّة المحضة لا يقبلها الحسُّ والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحسُّ والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التّام والوصول إلى المطلوب)[٥٩].

ولعلّ ممّا يلاحظ على ضرب الأمثال في القرآن الكريم كذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يضيفها إلى النّاس من نحو قوله تعالى: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ)[٦٠]، إشارة إلى أنّ الأمثال إنّما تُضرب في القرآن الكريم من أجل النّاسِ في سبيل تنبيههم وإرشادهم إلى طريق الحقِّ فيتّبعوه.

إنّ دلالة ضرب الأمثال في القرآن الكريم له خصوصيّةٌ تتمثّل في التقابل الدّلاليّ بين كثير من المتناقضات كالخير والشرّ، والحياة والموت، والجنة والنار، والإيمان والكفر، والحقّ والباطل، والذي يبدو للنظر أنّ ذلك يعود إلى ملمح دلاليّ يهدف من ورائه القرآن الكريم وهو التّنبيه على الفارق بين هذه الأشياء وما يؤول إليه كلٌّ منها، فمن ذلك قوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَبِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءِ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ والبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ)[٦١]، فمثل الحقّ المطر الذي ينتفع به الناس وتسيل به الأودية ممّا يوقد عليه ويذاب فيصنعون منه الحليّ، ومثل الباطل بالزبد الذي يطفو على الماء لا فائدةَ ترتجى منه، ومنه قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)[٦٢]، فقد قارن هنا بين الكلمة الطّيبة والكلمة الخبيثة، فالأولى كلمة التّوحيد وهي كالشجرة الطّيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السّماء وهي تنبت الثمر الطّيب في كلّ وقت، بخلاف

الأخرى وهي كلمة الشّرك فهي كالشجرة الخبيثة التي لا قرارَ لها ولا فائدةَ ترجى منها فاجتثاثها أفضل من بقائها.

دلالة المنع والحجب:

قد يُراد بالضّرب في القرآن الكريم المنع والحجب على جهة الاستعارة كما في قوله تعالى: (فَضَرَبْنَا عَلى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا)[٦٣]أي جعلنا على آذانهم حجابًا يمنعهم من سماع الأصوات، قال الزّجاج (ت٣١١هـ): (منعناهم أن يسمعوا؛ لأنّ النّائم إذا سمع انتبه، فالمعنى: أنمناهم ومنعناهم السّمعَ)[٦٤]، وقدِ استُعير الضّربُ للنّوم الثّقيل الذي لا يكاد يسمع معه شيء ليدلَّ على قوّة المباشرة واللّصوق واللّزوم، حتى استُثقل نومُهم فلا يستطيعون القيام[٦٥]. والظّاهر أنّ مفعول (ضَرَبَ) محذوفٌ تقديره حجابًا كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها الخيمة أوِ القبّةَ[٦٦]، فاللّزوم هنا هو الذي دعا إلى تغيير دلالة اللفظة فتحوّلت من الضّرب الذي يفيد القوّة والشّدة إلى الضّرب الذي يفيد الحجب والمنع من السّماع على وجه المجاز الذي أفاده التّشبيه.

ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ)[٦٧]، فالمعنى هنا من ضرب الخمار وضع الحجاب الذي يستر الجسم فلا يُرى منه شيءٌ؛ لأنّ الخمر أساسًا السّترُ والتّغطيةُ[٦٨]، فإنّ (نساء الجاهليّة كُنَّ يشددنَ خُمرهنّ من خلفهنّ، وإنّ جيوبهنّ كانت من قدّام فكان ينكشف نحورهنّ وقلائدهنّ، فأمِرنَ أن يضربنَ مقانعهنّ على الجيوب ليتغطّى بذلك أعناقهنّ ونحورهنّ وما يحيط به من شعر وزينة من الحليّ في الإذن والنّحر وموضع العقدة منها، وفي لفظ الضّرب مبالغةٌ في الإلقاء)[٦٩]، ويلحظ أنّ الفعل عُدِّي بـ (على) لتضمّنه معنى الوضع ليفيدَ حجب النّاس ومنعهم عن النّظر إلى محاسن المرأة وجمالها، ولكنّه استعمل لفظ الضّرب لما فيه من معنى الإلزام والإجبار، زيادة في التّوكيد والمبالغة في السّتر، فضلًا عن أنّ الباء الدّخلة على الخُمُر تفيد الإلصاق، ولا يخفى ما في ذلك من النّص على أن يكونَ الحجاب ساترًا لها ملتصقًا بها، فضلًا عن أنّ مجيء القرآن الكريم بصيغة المضارع (يَضْرِبْنَ) فيه إشعارٌ بضرورة دوام وضع الحجاب، إذ إنّ المضارع يفيد الاستمرار والتجدّد، وتحصّل من ذلك أنّ دلالة الضّرب هنا دلالة مجازيّة جاء بها القرآن الكريم على وجه الاستعارة لبيان الصّورة التي أرادها لحجاب المرأة المؤمنة.

ولعلّ من المفيد أن نقول إنّ القرآن الكريم قد يستعمل اللّفظة لتدلّ على خلاف ما دلّت عليه من المنع والحجب كما في قوله تعالى: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ)[٧٠]؛ فإنَّ ضرب الأرض سببٌ في إظهار الزّينة وسببٌ في علم الناس ما يُخفينَ من الزِّينة، ولذلك نهى القرآن الكريم عن ذلك، والآيات فيها تكرار في عدم إظهار زينة المرأة بطرائق مختلفة، فضلًا عن (إبداء صوت الحليّ بعد النّهي عن إبداء عينها من المبالغة في الزّجر عن إبداء مواضعها ما لا يخفى)[٧١]، ويلحظ أنّ القرآن الكريم لم يصرّح بذكر مفعول الضّرب وهو الأرض.

دلالة الضّرب على الإعراض والصّفح:

وردت هذه الدّلالة في قوله تعالى: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ)[٧٢]، فالضّرب هنا يفيد الإضراب والإعراض بسبب إسرافِهم (والمعنى: ننحّيه ونبعده عنكم، وهو مجازٌ من قولهم: ضرب الغرائب عن الحوض أي إبعادُها، ولفظ الضّرب فيه إشعارٌ بملازمة الذّكر لهم واقتضاء الحكمة لذلك، كأنّ الذّكر متهافتٌ عليهم)[٧٣]، ولعلّ في قوله (صَفْحًا) ما يفيد معنى الإعراض والصَّفح، أي إعراضًا منّا عنكم على أنّه مفعولٌ لأجله، أو مفعولٌ مطلقٌ مؤكّدٌ لفعله لما بينهما من التّرادف؛ فإنّ الضّرب يوحي بالصّفح والإعراض قطعًا، كأنّه قيل: أفنصفح عنكم الذّكر صفحًا؟[٧٤]، وما يؤيّد ذلك تعدية الفعل بـ (عن) لمّا ضُمِّن معنى الإعراض والصّفح، فدلالة الضّرب هنا كدلالة العشوّ في قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْشُو عَنْ ذِكْرِ الرّحمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)[٧٥]، وكدلالة الإعراض عن ذكر الله في قوله تعالى: (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)[٧٦].

دلالة الضَّرب على الجعل والاتّخاذ:

يرد الفعل (ضَرَبَ) في القرآن الكريم بمعنى (جَعَلَ) أوِ (اتَّخَذَ) من نحو قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى)[٧٧]، فليس الضَّرب هنا على الحقيقة، وليس كقوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ)[٧٨]؛ فإنّه يفيد الضَّرب حقيقة هنا بخلافه في الأولى فإنّه يفيد الجعل والاتّخاذ، قال الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ):

(فاجعل لهم، من قولهم: ضرب له في ماله سهمًا، وضربُ اللّبن: عملُه)[٧٩]، وقد جعله أبو حيّان (ت٧٤٥هـ) من باب الحقيقة لا المجاز مستدلًّا بقوله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ)[٨٠]، فهو من مسّ العصا بقوّة والتّحامل عليها، والمعنى: أنِ اضرب بعصاك البحر فينفلق ليصير طريقًا، ولذلك عُدّي إلى الطّريق بهذا المعنى؛ لأنّ الطّريق متسبّبٌ عن الضّرب فجُعلَ كأنّه المضروب[٨١].

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ضرب الأمثال في القرآن الكريم هو بمعنى اتّخاذ مثيل أو شبيه لله سبحانه وتعالى، فقوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)[٨٢] معناه جعل أوِ اتّخذ شبيهًا أو ندًّا أو نظيرًا له.

ونظير ذلك قوله تعالى: (فَلَا تَضْرِبُوا لِلّهِ الأمْثَالَ إنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[٨٣]، (والأمثال جمع مِثْل كعِلم، والمراد من الضّرب الجعل فكأنّه قيل: فلا تجعلوا لله تعالى الأمثال والأكفاء)[٨٤]، أي لا تجعلوا له مثيلًا أو ندّا أو شبيهًا، فالآية شبيهةٌ بقوله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٨٥]، ودليل ذلك ما ختمت به الآية من علمهم بأنّ الله سبحانه وتعالى ليس له شبيهٌ أو مثيلٌ.

ومن الجدير بالذّكر أن نشير أخيرًا إلى صيغ المادة الواردة في القرآن الكريم، فقد جاءت بصيغة المصدر (ضَرْبًا) في مواطن يغلب عليها الشدّة والغلظة والقوّة، وذلك أكثر ما يكون في الجهاد والقتال، وقد أشرنا إلى أنّ المصدر يفيد التّوكيد وهو أنسب للمقام، وجاءت بصيغة الفعل الماضي (ضَرَبَ) والمضارع (يَضْرِبُ) في مواطن ضرب الأمثال، والأمر (اضْرِبْ) في مواطن أوامر الله سبحانه وتعالى التي تستوجب كذلك الحزم والشدّة كضرب البحر والحجر وغير ذلك.

خاتمة البحث ونتائجه:

بعد هذا يودّ الباحث أن يبيّنَ أهمَّ النتائج التي توصّل إليها من خلال الكشف عن دلالة مادّة (ضَرَبَ) وما تنطوي عليه من استعمالات في القرآن الكريم:

- ثمّة ارتباط واضح بين دلالة اللّفظة في اللّغة والقرآن الكريم وهو أمرٌ بديهيّ؛ إذِ القرآن الكريم هو مصدر العربيّ الأكبر، ومنه أخذ اللّغويون كثيرًا من دلالات الألفاظ.
- تحمل مادّة (ضَرَبَ) في القرآن الكريم دلالات متعدّدة يكشف عنها سياق النصّ القرآنيّ، فاللّفظة في القرآن- كما هو معروفٌ- تحيا في سياقها وهو الذي يرشّحها لدلالة معيّنة بعيدًا عن مدلولها اللّغويّ، لتُؤدّيَ إضافةً إلى دلالتها الأصليّة دلالةً جديدةً، ولفظة (ضَرَبَ) من الدلالات القرآنيّة التي تقوم بدورين مختلفين، حقيقيّ يرجع إلى أصل معناها اللّغويّ، ومجازيّ يعود إلى اكتسابها دلالات جديدة عن طريق الاستعارة والتّشبيه وغيرها.
- وقد استعمل القرآن الكريم اللّفظة بمدلولها اللّغويّ الحقيقيّ الذي يفيد الضّرب حقيقةً بالعصا والسّيف واليمين وغير ذلك، وقد أثبت البحث أنّ دلالة الضّرب هذه ترد في مواطن القوّة والشّجاعة وما يتطلّب إخافة الأعداء وزعزعتهم، وهو ما يغلب في مواقف الحرب والغزو وغيرها، لذلك ترد هذه الدّلالة مقرونةً بضرب الرّقاب وفوق الأعناق والبنان، بل يؤكّد التّعبير القرآنيّ على ضرب اليمين؛ لأنّها أقوى من غيرها وأشدُّ بأسًا وهو ما ورد في تحطيم إبراهيم (عليه السّلام) الأصنامَ، إشارةً إلى قوّة يمينه وغلبتها.
- والدّلالة الأخرى التي تفيدها اللّفظة في القرآن الكريم هي دلالة الضّرب في الأرض للتّجارة والسّفر أو الغزو في سبيل الله، وهذه الدّلالة تكون اللّفظة فيها مقرونةً بعبارة (في الأرض) أو (في سبيل الله)، وفيه إشعارٌ بأنَّ الضّرب في الأرض لا يكون إلّا في سبيل الله أو لابتغاء الرّزق، وهي دلالةٌ مجازيّة اكتسبتها اللّفظة من مجاورتها الألفاظ الأخرى.
- ولعلّ من الدّلالات المجازيّة اللّافتة للنظر دلالة اللّفظة على الإحاطة والشّمول على وجه التّشبيه، وهذا ما ورد في مواطن غضب الله على المنافقين، فهم تحيط بهم الذّلة والمسكنة كما تحيط الخيمة بصاحبها صاغرين أذلّاء من سوء أعمالهم، فلا مفرَّ ولا مناصَ لهم من الذّلة والمسكنة.
- ومن دلالات اللّفظة في القرآن الكريم الدّلالة على ضرب الأمثال، والأمثال كثيرة الورود في القرآن الكريم، والعلاقة بين الضّرب والمثل متأتية من الترابط والتّواشج الدّلاليّ بينهما، إذِ الضّرب هو النوع والشّكل والمثل هو الشّكل.

- وثمّة دلالات فرديّة في سياق أو سياقين في القرآن الكريم كدلالتها على الصّفح والحجب ودلالتها على الاتّخاذ والجعل، وهي دلالات مستفادةٌ من السِّياق ومن ورودها مع ألفاظ ترشِّحها لهذه الدّلالة.
- ولا بدَّ من الإشارة إلى أنّ ورود اللّفظة وتشكّلها بصيغة معيّنة يجعلها ذاتَ مغزًى خاصٍّ، فورودها مثلًا بصيغة المصدر يجعلها تفيد التّوكيد، وهو ما ظهر غالبًا في القتال والجهاد في سبيل الله؛ فهذا الموقف يستدعي حثَّ المؤمنين على جهاد الأعداء، واللّافت للنّظر أنّ التّعبير القرآنيّ لا يصرّح غالبًا بالفعل زيادةً في التّوكيد ورغبةً في الاختصار.

الهوامش:

(١) الخصائص:١٨٦/١	(٤٨) تفسير التحرير والتّنوير: ٣٤٦/٢٧
(٢) معجم مقاييس اللّغة: (ضَرب)	(٤٩) الأمثال في القرآن الكريم: ٧١
(٣) لسان العرب: (ضَرَبَ)	(٥٠) المصدر السّابق: ٦٧ وما بعدها
(٤) الصّحاح: (ضرب)	(٥١) ظواهر اسلوبيّة في القرآن الكريم: ١١٧
(٥) لسان العرب: (ضرب)	(٥٢) سورة إبراهيم: ٢٥
(٦) المصدر السّابق: (ضرب)	(٥٣) سورة النّحل: ٧٤
(٧) ديوان طرفة بن العبد: ٥٦	(٥٤) سورة البقرة: ٢٢
(٨) لسان العرب: (ضرب)	(٥٥) الكشّاف: ٦١٤/١
(٩) ديوان ذي الرّمة: (٩٣)	(٥٦) سورة الإسراء: ٤٨
(١٠) لسان العرب: (ضرب)	(٥٧) الكشّاف: ٦٣٧/١
(١١) المصدر السّابق: (ضرب)	(٥٨) سورة الفرقان: ٩
(١٢) أساس البلاغة: (ضرب)	(٥٩) تفسير الرّازيّ: ١٠٥/١٩
(١٣) المعجم الوسيط: (ضرب)	(٦٠) سورة محمد: ٣
(١٤) ديوان حميد بن ثور: ٥٧	(٦١) سورة الرّعد: ١٧
(١٥) معجم مقاييس اللّغة: (ضرب)	(٦٢) سورة إبراهيم: ٢٤
(١٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٤-٥٥	(٦٣) سورة الكهف: ١١
(١٧) سورة الأنفال: ١٢	(٦٤) معاني القرآن للزجّاج: ٢٢١/٣
(١٨) الكشّاف: ٤١١/١	(٦٥) تفسير البحر المحيط: ١٢٨/٦
(١٩) تفسير البحر المحيط: ٥٩٥/٤	(٦٦) تفسير الرّازيّ: ٧٦/٢١

(٢٠) سورة محمد: ٤
(٢١) معاني القرآن للزجّاج: ٦/٥
(٢٢) الكشّاف: ١١٤٧/٢
(٢٣) المصدر السّابق: ١١٤٧/٢
(٢٤) سورة الأنفال: ٥٠
(٢٥) الكشّاف: ٤٢٣/١
(٢٦) سورة الصّافات:٩٣
(٢٧) الكشّاف: ١٠١٤/٢
(٢٨) سورة الحاقة: ٤٥
(٢٩)تفسير الرّازيّ: ١٠٦/٣٠
(٣٠) سورة البقرة: ٦٠
(٣١) الكشّاف: ٦٥/١
(٣٢) سورة الشّعراء: ٦٣
(٣٣) روح المعاني: ١١٥/١٩
(٣٤) الصّحاح: (ضرب)
(٣٥) سورة آل عمران: ١٥٦
(٣٦) روح المعاني: ٤٢٥/٤
(٣٧) سورة النّساء: ١٠١
(٣٨) سورة النّساء: ٩٤
(٣٩) سورة المزمّل: ٢٠
(٤٠) سورة البقرة٦١
(٤١) معاني القرآن للزجّاج: ٣٠٣/١
(٤٢) سورة البقرة: ٦١
(٤٣) الكشّاف: ٦٦/١
(٤٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٠٥-٥٠٦
(٤٥) سورة آل عمران: ١١٢
(٤٦) سورة الحديد: ١٣
(٤٧) سورة الرّحمن: ٢٠
(٦٧) سورة النّور: ٣١
(٦٨) لسان العرب: (خمر)
(٦٩) تفسير الرّازيّ: ١٦٠/٢٣
(٧٠) سورة النّور: ٣١
(٧١) تفسير أبي السّعود:١٣١/٦
(٧٢) سورة الزّخرف: ٥
(٧٣) تفسير أبي السّعود: ٣٠٩/٧
(٧٤) المصدر السّابق: ٣٠٩/٧
(٧٥) سورة الزّخرف: ٣٦
(٧٦) سورة الجنّ: ١٧
(٧٧) سورة طه: ٧٧
(٧٨) سورة البقرة: ٦٠
(٧٩) الكشّاف: ٧١٢/١
(٨٠) سورة الشّعراء: ٦٣
(٨١) تفسير البحر الحيط: ٥/ ٣٢٥-٣٢٦
(٨٢) سورة يس: ٧٨
(٨٣) سورة النّحل: ٧٤
(٨٤) روح المعاني: ١٤/ ٥٨٠
(٨٥) سورة البقرة: ٢٢

مصادر البحث ومراجعه:

- القرآن الكريم.
- أساس البلاغة، الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفيّاض، ط١، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٨م.
- تفسير أبي السّعود (ت ٩٨٢م)، تحقيق: خالد عبد الغنيّ محفوظ، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ٢٠١٠م.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرزّاق المهديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- تفسير التّحرير والتّنوير، ابن عاشور، مؤسّسة التأريخ، بيروت– لبنان، ط١، د.ت.
- تفسير الفخر الرّازيّ، فخر الدّين الرّازيّ (ت٦٠٤هـ)، دار الكتب للطباعة والنّشر، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- الخصائص، ابن جنيّ (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: د. محمد علي النجّار، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٦م.
- ديوان حميد بن ثور الهلاليّ، تحقيق: عبد العزيز الميمنيّ، طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ديوان ذي الرّمة، شرح أبي نصر الباهليّ، تحقيق: عبد القدّوس أبو صالح، دمشق، ١٩٧٣م.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: د. علي الجنديّ، القاهرة.
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسّبع المثاني، الآلوسيّ (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السّلام السّلاميّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- الصّحاح، الجوهريّ (ت٣٩٨هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت– لبنان، ط٥، ٢٠٠٩م.
- ظواهر أسلوبيّة في القرآن الكريم، د. عمر عبد الهاديّ عتيق، عالم الكتب الحديث، الأردنّ، ط١، ٢٠١٠م.
- الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: د. عبد الرزّاق المهديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت–لبنان، ط١، د.ت.
- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصّادق العبيديّ، دار التّراث العربيّ، ط١، ٢٠١٠م.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل شلبيّ، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيّات، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م.
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوديّ، الدّار الشّاميّة، بيروت– لبنان، ١٤٢٥هـ.